ISBN: 978-9922-9343-3-4
المؤتمر العلمي الدولي للأعمال والتعليم والعلوم الانسانية
International Scientific Conference on Business, Education and Human Sciences
دار الرافد للنشر

المنـهج الظاهراتي

آليات التحليل وافتراضات التأويل

فوزية دندوقة
جامعة محمد خيضر- بسكرة
07000، الجزائر
fz.dendouga@univ-biskra.dz

شهيرة زرناجي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
07000، الجزائر
chahira.zernadji@univ-biskra.dz

المستخلص

يروم الباحث في هذا المقال كشف العلاقة بين الظاهراتية والتأويل، هذين المفهومين الرائجين في الفكر الأدبي الحديث رواجا كبيرا، انطلاقا من عرض آليات التحليل الفينومينولوجي الذي يعمل على دلالة اللغة ومعناها بعدها جوهر الظاهرة اللغوية، فيقدم لنا وصفاً لمعنى شيء ما، وصولا إلى ما يقوم به المؤول من تأسيس للمعنى قصد الإمساك بالبنيات المتسامية، وولوج دواخل وعي الكاتب، والغوص بشكل حاسم في عالم العمل الأدبي، وإعادة إنتاج الدلالة بدلا من البحث عنها، ليصبح العمل الأدبي طرفا في عملية الحوار، بدل أن يكون وسيطا يربط بين طرفين متحاورين.

الكلمات المفتاحية: الظاهراتية، التأويل، اللغة.

ISBN: 978-9922-9343-3-4
المؤتمر العلمي الدولي للأعمال والتعليم والعلوم الانسانية
International Scientific Conference on Business, Education and Human Sciences
دار الرافد للنشر

The Phenomenological Curriculum

Mechanisms of Analysis and Assumptions of Interpretation

FOUZIA Dendouga
Mohamed Khaider University - Biskra
07000, Algeria

CHAHIRA Zernadji
Mohamed Khaider University - Biskra
07000, Algeria

ABSTRACT

In this article the researcher intends to uncover the relationship between phenomenology and interpretation. These two popular concepts in modern literary thought are very popular, starting from the presentation of the mechanisms of analysis that work on the significance of language and its meaning, after which the essence of the linguistic phenomenon, so he provides us with a description of the meaning of something, down to what the interpreter does The phenomena of the establishment of meaning in order to grasp the transcendent structures, enter the interior of the writer's consciousness, delve decisively into the world of literary work, and reproduce signification instead of searching for it, so that the literary work becomes a party to the dialogue process, instead of being a mediator linking two opposing parties.

Keywords: phenomenology, hermeneutics, language.

المقدمة

لقد حدد ادموند هوسرل (Husserl) الأسس التي تقوم عليها أفكاره الهامة، فاستطاع أن يضع المنهج الظاهراتي الذي يقارب مشكلة المعرفة والكينونة بطريقة جديدة، ورغم ذلك ظلت هذه المقاربة إلى الآن من أكثر مناهج العلوم الاجتماعية تعقيدا على الإطلاق، وليس التأويل كمفهوم شائك وشائع في الدراسات الحديثة أقل تعقيدا وصعوبة، حيث مر بمراحل تطورية عديدة من حيث الأسس والأهداف، وأبرز هذه التحولات ما عرفته التأويلية مع هايدغر رجل المرحلة الجديدة في التأويل، حيث يصف مشروعه الفلسفي بأنــه هرمينوطيقا الكينونة، فلم يعد التأويل فهما للنصوص، بل فهم للكون ذاته، وذلك بالانتقال من التأويل اللغوي إلى التأويل الظاهراتي، تأسيسا لفينومينولوجيا مطعمة بالهرمينوطيقا (هايدغر، 2015، ص10)، من هذا المنطلق حددنا الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة على افتراض مسبق يؤسس لعلاقة منهجية بين علمين أو منهجين سائدين في العلوم الإنسانية ويهدف للكشف عن المفهومين، وعما يجمعهما من علاقات، موضحين نقاط الاختلاف والائتلاف.

مفهوم الظاهراتية

الظاهرة هي الطريقة التي يمكث فيها شيء ما موضوعيا، حيث هذا الشيء حاضر انطلاقا من نفسه، احدد الظاهرة إذا ما يظهر بوصفه هو نفسه، لا ممثلا بطريقة أو أخرى، ولا في تقدير غير مباشر، وليس معاد البناء بشكل ما (هايدغر، 2015، ص121).

ومن هذا المعنى الذي تحمله الظاهرة ظهر مصطلح الظاهراتية أو الفينومينولوجيا (Phénoménologie) وهو علم الظواهر، استعمل في بدايته في مجال علم النفس ليدل على الظواهر النفسية المختلفة كالرغبة والإحساس والإدراك... وليدل أيضا على مظاهر الوعي في محتواه النفسي، والقائمة على ملاحظة ووصف الظاهرة كما هي معطاة، قصد تحليلها، وتحديد خصائصها، وفهمها على وجه الخصوص (شوقي الزين، 2002، ص48). وتختلف غاية الظاهراتية عن التجريد تمام الاختلاف؛ فهي العودة إلى الملموس، إلى الأرض الصلبة، كما أقر ذلك شعارها المشهور: العودة إلى الأشياء في ذاتها (ايجلتون، 1995، ص 88).

وقد ورد في الموسوعة الفلسفية أن الظاهراتية نظرية في المعرفة تقوم على أساس مسلمة بأن الأحاسيس وحدها هي الموضوع المباشر للمعرفة، و تفضي الظاهراتية المتطرفة إلى مثالية مطلقة، فالعالم (مجمل من الأفكار) أو (مركبات الأحاسيس)... أما الظاهراتية المعتدلة -التي تعرف بوجود الأشياء كما تتبدى في الأحاسيس– فإنها تفضي إما إلى مادية غير متماسكة تعتبر الموضوعات أشياء مادية، أو إلى اللاأدرية الكانطية إذا كانت تنظر إلى الموضوعات على أنها (أشياء في ذاتها) غير قابلة لأن تعرف، وتتخذ الظاهراتية في الوضعية المعاصرة شكلا لغويا، حيث ترتد أطروحتها الرئيسية إلى القول بإمكانية التعبير عن الخبرة في لغة شيئية أو ظواهرية (روزنتال، 1981، ص288).

ويقول بورس (C. S. Peirce) إن الظاهراتية وصف للظواهر، ككلية جماعية لكل ما هو حاضر في الذهن بطريقة معينة، وبأي معنى، دون اعتبار ما إذا كان هذا مناسبا لشيء واقعي أم لا (Peirce ; 1978, p67)، وهي بهذا الوصف تحديد لبنية الظواهر، وشروطها العامة، بمعنى مشكل الظهور أو الانبثاق الذي يتصل لأول وهلة اتصالا مباشرا بالوعي، وهكذا يكون أول التقاء للوعي الذي أثارته ظاهرة معينة هو صلب ما تحاول

الظاهراتية معالجته؛ إنها تعنى بأول وميض يثير انتباه البصر إليه، لكن هذه الإثارة أو الانتباه لا يبقى في محيط الانطباعات و الانفعالات السيكولوجية، بل ترتقي في مضمونها الفلسفي-الأنطولوجي إلى فضاء الماهيات قصد رصد ماهية الظاهرة التي تتجلى للوعي (روزنتال، 1981، ص 288))

اتجاهات المنهج:

لهذا المنهج اتجاهات ثلاث، تتمثل في (شوقي الزين، 2002، ص48، 49):

- الظاهراتية النقدية: تسعى إلى تبيان الشروط الممكنة للموضوعية، تؤطرها بنية الذات و التي تحدد بالمقابل حدود المعرفة التي تجد نفسها في مواجهة فكر المطلق.
- ظاهراتية المظاهر: يحددها مراتب ظهور الكائن ومساره الأنطولوجي نحو المعرفة المطلقة.
- ظاهراتية التأسيس: يبحث هذا النوع من الظاهراتية عن قاعدة أو دعامة تنبثق من خلالها، أو تتأسس بموجبها، أو ترى الوجود على إثرها كل ظاهرة معينة.

هدف المنهج:

حدد المنشغلون بهذه الفلسفة هدفها ومسعاها قائلين إنها تسعى إلى إقامة علم كلي، وقبلي، تنطوي تحته كل العلوم الأخرى التي تعتبر بالنسبة إليه جزئية، أو فرعية (غيوة، 1999، ص199)، وهي بهذا المفهوم تسعى إلى إزالة سمة الاستقلالية عن باقي العلوم والمعارف، فتكون لها جميعاً الرافد الأول والأساس، وذلك لأن الظواهريين ينشغلون بدراسة الظواهر، كل الظواهر، دراسة وصفية خالصة، وهم في دراستهم هذه لا يركزون جهدهم على ظاهرة أدبية، دون علمية، أو تاريخية دون فلسفية...؛ لأن لكل ظاهرة في هذا الوجود تأثيرها الخاص.

لقد جاء المنهج الظاهراتي كوسيلة لمعالجة الأزمة التي تستلزم العودة إلى علم شامل يعمل على حل المشكلات الإنسانية و الفلسفية، ففي سياق الأزمة الأيديولوجية الشاملة التي عرفتها أوربا إثر الحرب العالمية الأولى سعى الفيلسوف الألماني ادموند هوسرل إلى وضع منهج فلسفي يعير اليقين المطلق لحضارة منهارة، فكتب في مؤلفه (the crisis of the european sciences) قائلا: "كان الأمر اختيارا بين اللاعقلانية المتوحشة من ناحية، وبين ميلاد روحاني جديد من خلال علم روحي مكتف بذاته اكتفاء مطلقا من ناحية ثانية" (ايجلتون، 1995، ص88).

مفهوم النظرية التأويلية (الهرمينوطيقا)

المصطلح والمفهوم:

التأويلية أو الهرمينوطيقا هي بوجه عام اتجاه في التفسير، ولا يكون هذا التفسير ممكنا إلا من خلال الفهم والحوار (بوشعير، 2011، ص125)، وإذا كان معنى (herméneutique) قبل القرن التاسع عشر مقتصرا على تفسير الكتب المقدسة، ثم متطابقا مع التفسير النصي على أنه عملية تقود إلى معنى صحيح واحد، وطرقُ الوصول إلى ذلك المعنى هي بشكل رئيس تلك التي تنادي بها نظرية فقه اللغة التاريخي الكلاسيكية، اعتمادا على الكلمات، والإحاطة بالأحداث التاريخية المؤثرة في استخدامها، بالإضافة إلى قصد المؤلف، فقد اتسع مجالها خلال القرن التاسع عشر، ليشمل قضية التفسير النصي في عمومها (عبد المطلب، 2007، ص32).

ثم ارتبط المصطلح في القرن العشرين بأمور فلسفية أكثر عمومية، و بدلا من تأسيس قواعد لتفسير المادة المكتوبة، فقد ركزت النظريات الهرمينوطيقية للقرن العشرين على الفهم بوصفه أسلوبا أساسيا لوجودنا في العالم (سلدن، 2006، ص39).

فتأويل النص التاريخي والفني أو حتى الفلسفي لا يراد منه المتعة الجمالية، الاستيتيقية، بل تعني تجربة تلقي العمل بدون أن ننفصل عن وعينا العادي، لندخل دائرة الوعي الفني الذي نحتكم إليه، إن معضلة الفهم إذا حسب عالم الهرمينوطيقا هي معضلة وجودية، فبحثنا عن الحقيقة المختفية وراء السطور ليس لأجل المتعة، بل هي مشاركة وجودية.

لقد اتسع مفهوم الهرمينوطيقا في تطبيقاته في الفكر الحديث، فصار مجالا لعمليات التأويل المعرفية في العلوم الإنسانية، كالتاريخ و علمي الاجتماع و الانثروبولوجيا، و علم الجمال، و النقد الأدبي، و الفلكلور، لقد صارت التأويلية جوهر ولب نظرية المعرفة (حامد أبو زيد، 2000، ص 167).

يمكننا إذا أن نصف الهرمينوطيقا بأنها تنمية النظريات ودراستها، لتفسير وفهم النصوص، وهي في الدراسات الدينية، تشير إلى دراسة تفسير النصوص الدينية. وهي وصف للجهود الفلسفية والتحليلية التي تهتم بمشكلات الفهم و التأويل. وتقوم الهرمينوطيقا على فلسفة التعمق خلف ما هو ظاهر من تعبيرات وعلامات ورموز، للكشف عن المعاني الكامنة والجوانب غير المتعينة من الخبرة أو التجربة (أبو زيد،1981، ص148).

شروط القراءة التأويلية:

للوصول إلى المعاني الخفية والدلالات الباطنية التي يسعى المحلل والقارئ المعاصر إلى كشفها يشترط في القراءة التأويلية جملة من العناصرنلخصها في الفرضية، والمقصدية، والسياق والدائرة الهرمينوطيقية، ثم تاويل النص لا استعماله (المتقن، 2004، ص35 و ما بعدها)، أما الفرضية، فهي ما يصطلح علماء التداولية على تسميته بالافتراض المسبق. حيث يذهب فينيمان (Veneman) إلى أن لكل خطاب رصيداً من الافتراضات المسبقة المستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته، فلدى كل طرف من أطراف الخطاب، رصيد من الافتراضات المسبقة، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب، وضمن رصيد الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية، التي يستند إليها القارئ في تأويل النص (براون ويول، 1997، ص96، 97).

في حين تجعل النص موئل تقاطعات بين المرسل والبنية النصية ومتلقي الخطاب، فلم يعد سائغاً النظر إلى النص في ذاته، كما فعلت التصورات الشكلانية، إلا من قبيل بناء النماذج، وتسهيل عملية التصنيف، إذ أصبح النص عبارة عن أفعال كلامية منجَزَة من المؤلف، يقصد بها أنماطاً من تأثير المتلقي. ولهذا أصبحت مقاصد المتكلم مؤشرات حاسمة في عملية التأويل، و إلغاؤها إلغاءٌ لجزء معتبر من معمار المعنى، إن لم يكن إعداماً مطلقاً له (تاج الدين، 1998، ص 25)، وهو ما جعل غادامير(Gadamer) يقر بأن مهمة الهرمينوطيقا هي الكشف عن شيء النص غير المحدود، لا عن نفسية المؤلف؛ لأن هذا الشيء هو المرجعية بالنسبة للمعنى، وهو ما يمكننا من الكشف عن مقصديته و عن قيمة الحقيقة فيه (بول ريكور، 2001، ص 41).

ولأن السياق هو أساس القراءة الصحيحة (الغذامي، 1998، ص31)، فقد أصبحت علاقته بالنص هي قطب الرحى في التحول المنهجي الذي تعرفه النظرية اللسانية المعاصرة في توسيع مجالها الإجرائي، لتشمل حقولاً معرفية مختلفة، لما يلعبه السياق من دور فعال في ترقية آليات تحليل الخطاب، وتمثل مضامينه تفسيراً وتأويلاً؛ لارتباطه بمعطيات معرفية ومنهجية، في الوقت نفسه تؤطر مسار احتواء المجال الإدراكي للنص وتفعله، باستثمار حصيلة ثرية لمجالات متعاقبة في تاريخ قراءة النص (حساني، 2004، ص 64، 70).

أما الدائرة الهرمينوطيقية: فهي الأداة المنهجية للنظر إلى النص في كليته وعلاقتها بمختلف الأجزاء، كما تتناول الأجزاء في علاقتها بهذا الكل (نصر،1996، ص80)، ففهم النص لا يتأتى للمؤول إلا إذا تمكن من فهم أجزائه، و فهم هذه الأخيرة أيضا لا يتحقق إلا بفهم الكل. وهنا يتحقق الشرط الآخر للقراءة التاويلية، وهو تأويل النص لا استعماله؛ وذلك يعني أن تكون عملية الفهم عبر النص وانطلاقا منه، فنتركه ينطق بما يحمل (Bouveresse, 1991, P26)، وتتحدد قيمة هذا العنصر بالنظر إلى أولئك الذين يتأولون النصوص خدمة لتوجهاتهم الخاصة، أو لمذاهبهم التي ينتمون إليها.

التحليل الظاهراتي والتأويل

إذا حاولنا تحديد علاقة التأويل بالفينومينولوجيا توجب علينا التعرض لمكانة مؤسسها الذي وضع الخطوط الرئيسة لها، بوصفها مشروعاً معرفياً و كلياً ينفتح على آفاق تأويلية كبيرة، حيث ترتبط بالتأويل عضويا ووظيفيا، مثلما يرتبط الأنثربولوجي بالأنطولوجي، والمنطقي بالشاعري (شوقي الزين، 2002، ص 53)، وهذا الارتباط الوثيق بين المنهجين يؤكد أهمية الوصف الظاهراتي في تحليل النص الأدبي، نظرا لما يوفره من عودة إلى الأصل؛ إلى ماهيته وجوهره. فما يجمع المنهجين انتماء متبادل، يجعل كلا منهما يقوم على افتراض الآخر (بول ريكور، 2001، ص 31).

لقد تبوأ هوسرل موقعه الفلسفي عن طريق معارضته لمدرستين فكريتين سائدتين، هما الطبيعانية التي تزعم أن كل الظواهر جزء من الطبيعة، والنفسانية التي تحاول وضع كل الأنظمة المعيارية تحت طائلة قوانينه، كالمنطق مثلا (سلدن، 2006، ص442، 443).

وتعتبر نظرية القصدية الركيزة الأساس للظاهراتية، كما تعد أيضا من الركائز الأساسية للنظرية التأويلية، وفقما بينا، وهي تعني ذلك التوجه الذهني الذي يستهدف به الشعور الإنساني موضوعاته بالبحث، فهي الرابط القوي الذي يجمع بين الشعور وموضوعاته (غيوة، ص 200، 201)، والصفة المميزة للعلاقة بين الذات والموضوع، وبين الفكر والوجود، وهي علاقة أساسية لا تنفصل فيها الذات عن الموضوع، ولا يمكن لأي واحد منهما أن يصبح قادرا للإدراك الحقيقي دون الآخر (بونفقة،2005، ص37، 38). إنها الرابط العنصر الأساس في أي عمل أدبي، أو إنتاج فني، حتى أنها لم تعد مجرد مدلولات يرمي بها المبدع لغيره، لقد صارت من الاهمية بما يجعلها تتعدد وتختلف فهي قصدية المبدع، وقصدية القارئ، وقصدية الوسيط أو القناة.

أما حجر الأساس الآخر في فلسفة هوسرل، فهو تصوره للحدس؛ لأنه يتيح لنا أن ندرك الماهيات، وليس فقط الخصائص الأمبيريقية، ولكي نطبق الحدس الظاهراتي، ونصل إلى معرفة أصيلة وحقيقية علينا إجراء سلسة من الاختزالات، ومن أجل الاختزال الظاهراتي يستخدم هوسرل مفهوم الإيبوخية (epoche) ، ويعني التوقف

حرفيا، أو تسليط الوصف على اشياء بعينها تستقطب ملاحظتنا، وما عداها يبقى بين قوسين، ويتكون هذا المفهوم من وجوه أربعة:

التجنيب التاريخي: استبعاد الافتراضات المسبقة.

التجنيب الوجودي: استبعاد الشيء الحدسي والأنا التي تحدسه.

الاختزال الأيديتيكي: استبعاد كل شيء فردي للانتقال من الماهيات الخاصة إلى العامة.

الاختزال الفينومينولوجي: استبعاد كل ما هو خارج عن الظاهرة أو ما يتجاوزها (سلدن، 2006، ص444، 445).

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى الحقول المعرفية والمنهجية التي يشترك فيها المنهجان الظاهراتي والهرمينوطيقي من خلال التطرق إلى المفاهيم التي يلتقيان فيها (شوقي الزين، 1999، ص 10 و ما بعدها):

الأصل والعودة إلى الذات:

الفكر الظاهراتي هو فكر التأسيس الذي يعبر عن العودة إلى الشيء نفسه، إلى ماهيته وجوهره، والبحث عن الأصل هو أن يكون الوعي (مندفعا نحو..) أو (مندفعا إلى الأمام نحو...)، و (الاندفاع نحو) هو جملة الكمونات والممكنات التي تنكشف للوجود في الحاضر ولا تنكشف (هنا) و(الآن)، إلا على ضوء التحديدات التي تلقتها في ماضيها. أي العودة إلى التراث كعنصر ضروري، لانكشاف الشيء نفسه كماهية يدركها الوعي، وذلك على حد قول غادامير: "ينبغي لفن التأويل أن ينطلق من مسألة أن الفهم هو الوجود في علاقة مع الشيء نفسه الذي يظهر عبر ومع التراث أين يمكن للشيء الاتصال بي" (غادامير، 1999، ص19).

التجربة المعيشة في صلب الحاضر الحي

إن الحاضر سيلان لا نهائي، وتدفق دائم للحظات التجارب المعيشة المنخرطة في نظام الزمانية، يجعل الوعي يتصل اتصالا مباشرا بموضوعه (هنا) و(الآن) ويدرك ذاته كوعي خالص، ولا شك أن للحياة أهميتها في فهم الذات؛ على اعتبار أن هذه الأخيرة تدرك تجاربها المعيشة، وممارساتها الخاصة بناء على إدراكها لحياتها كوحدة وبنية متناسقة الأبعاد، ومرتبطة الأجزاء، وتدرك شمولية هذه الحياة في ضوء التجارب المعيشة التي يتوقف عليها أن تعين موضوعها بتأويله بنفسه (ريكور، 2001، ص57).

فهم الذات وتجربة الآخر

تذهب الظاهراتية إلى أن كل إدراك للآخر لا بد أن يمر بتجربة الجسد، وهي قاعدة تجعل من تجربة الحياة في صورتها الواقعية شرط إمكان لمختلف التجارب المعيشة والممارسات؛ لأن كل معرفة تبتدئ بالتجربة، ولأن الجسد هو المساحة الطوبولوجية (Topologique) والأنطولوجية (Ontologique) التي تتحرك فيها وتنتقل عبرها جملة التجارب المعيشة والممارسات والسلوكات، باعتباره حاملا للإدراك الحسي عبر الأعضاء التي تتصل اتصالا مباشرا بالعالم الخارجي، وللإدراك الحدسي الذي يجعل الوعي الخالص والمتعالي يدرك موضوعه مباشرة، فالوعي لا يستغني عما يفيده به الإدراك الحسي من إحساسات وانطباعات حسية، ولكنه يستقل بتعاليه

وإدراكه الحدسي في فهم أشياء العالم عبر القصدية المتضمنة فيه عند هوسرل أو عبر اندفاعه عند هيدغر(Heidegger).

يرى المنهج الظاهراتي أن النّص الأدبي مستويات عديدة غير متجانسة، حسب الفيلسوف الظاهراتي رومان انجاردن (R.Ingarden) هذه المستويات هي الصوتية، والدلالية، والبنيوية... الخ. وعلى هذا فإن النص الأدبي لا تمكن قراءته إلا عبر مجموعة من التحليلات الأسلوبية التي تحلل هذه المستويات جميعاً، بالإضافة إلى قراءة بنيوية أخيرة شاملة تُعنى بإبراز العلاقات الماثلة بين هذه المستويات جميعاً (عزام، 2001، ص15). وهنا يفترق التحليل الظاهراتي عن التحليل النفسي، والتحليل المنطقي للغة، فالتحليل النفسي يروم الوقوف على ما يجري في النفس، والمنطقي يأخذ الألفاظ باعتبارها أطرافا في القضايا، و يتعاطى المعاني بقدر ما توصل إلى المجهول، أما التحليل الظاهراتي، فيعمل على دلالة اللغة ومعناها، إذ الدلالة هي جوهر الظاهرة اللغوية، وبدونها لا يتأتى للألفاظ والتراكيب وظيفة وفاعلية (لطفي، 1997، ص47).

وهنا أيضا يفترق المنهجان التأويلي والظاهراتي، فإذا كان الوصف الظاهراتي وصفاً لمعنى شيء ما، يكون التأويل الظاهراتي فعلاً لإنتاج المعنى أو لتأسيسه، وينتمي إليه أحد جوانب المعنى الذي يسمى (المرجع) أي التوجه القصدي نحو عالم معين، والتوجه الانعكاسي نحو ذات معينة، لكن فعل التأويل الظاهراتي لا يتجه إلى المعنى أو المرجع، ولا يرتد منهما، فهو فعالية الفهم التي توفر المعنى، غير أن المعنى نفسه ليس بؤرة، ولا هوية، ولا وحدة مفردة؛ إنه هنا ممارسة وفعالية وتفصيل لحقل ما. أما التأويل فليس تقريراً، بل حوار تغذيه مجموعة من التساؤلات، فيسأل القارئ النص وهو بين يديه في الوقت الذي يسمح فيه للنص أن يرد عليه بسؤال أيضاً، وهو ليس فرض للذات، بل مجال للتخلي عنها. وبهذا المعنى الذي يكتسيه التأويل، والذي تحملته الفينومينولوجيا الحديثة تصبح هذه الأخيرة منهجا بل فلسفة في المعنى تختص بصياغة صور الظواهر وتحميلها شتى المعاني والدلالات.

من ناحية أخرى فإن التأويل يرى أن لغة النص بحر واسع يختفي في أعماقه من المعاني ما لا يستطيع أحد البلوغ إليه دون قدرة على الغوص والبحث المكثف، في حين يرى النقد الظاهراتي أن لغة العمل الأدبي تفوق شيئا ما التعبير عن معانيه الداخلية، وهذه فكرة قديمة تعود إلى هوسرل الذي لم تحتل اللغة في ظاهراتيته إلا حيزا ضيقا.

فضلا عن أن النقد الظاهراتي يهدف الى قراءة محايثة شاملة للنص بعيدا عن المؤثرات الخارجية، قصد الإمساك بالبنيات المتسامية، وولوج دواخل وعي الكاتب، وسلاحه في ذلك التطهر من ميولاته الخاصة، والغوص بشكل حاسم في عالم العمل الأدبي، وإعادة إنتاج ما وجده هناك بشكل دقيق، وغير منحاز قدر الإمكان (ايجلتون، 1995، ص37). وبناء عليه اختزل النص نفسه في احتواء خالص لوعي المؤلف، لكن بعضا من الباحثين يرفض هذا النوع من التحليل؛ لأنه يعتبر النص وسيطا بين المؤلف والقارئ، بدلا من أن يكون طرفا في عملية الحوار.

وقد ركز هيدغر اهتمامه على معالجة مختلف ظواهر الفن واللغة وتحليل النصوص، في سياق اهتمامه بالفن و الشعر في المرحلة التي تحول فيها من دراسة الوجود الإنساني إلى دراسة فكر الوجود؛ لأن الوجود الأول لا يتحقق إلا بتأويل النصوص التي تشهد عليه، وهكذا يحول هيدغر التأويلية من تحليل النصوص إلى تحليل

الوجود، حيث تحل أنطولوجيا الفهم محل أبستمولوجيا التأويل، فظاهراتيته تجعل التأويل تابعا للفهم الذي يغطي كل إسقاط للمعنى (ريكور، 2001، ص 37). فالتأويل عنده محاولة لفهم الوجود، انطلاقا من البحث عن معنى الفهم في حد ذاته، وعن حقيقته، لا عن عن قواعده وأسس بنائه.

ورغم الاحتفاء بالظاهرة في النظرية التأويلية الحديثة ورغم ارتباط الهرمينوطيقا بالفينومينولوجيا في تأويلية هايدغر، إلا أن التوجه الهرمينوطيقي مع غادامير راجع خطاه، حيث عرفت التأويلية معه عودة البحث عن فهم النصوص الموروثة والتقاليد الثقافية (العيد، 2014، ص13)، فكان بذلك خلف هيدغر الأكثر شهرة في مجال الهرمينوطيقا، لهذا اعتبرت العودة إليه عودة إلى الأصول، وتحول آخر من فهم الوجود إلى فهم الموجود.

الخاتمة

إن الفينومينولوجيا كمنهج فكري حديث ليست متاحة لكل راغب في التفسير أو التأويل، بل إنها في حقيقة الأمر أعقد من ذلك، لأنها ليست متاحة حتى للمتخصصين؛ وهذا باعتراف اكبر المنشغلين بها، وأكثر الخائضين في مجالها شهرة،لأنها من أصعب النظريات التي توصل إليها العقل البشري، ولا يزال البحث في اتجاهاتها وأهدافها وآلياتها قائما على قدم وساق، وحسبنا في هذا المقام أن نقول إنه المنهج الذي لا يمكنه أن يؤسس ذاته دون افتراض تأويلي، فلا يجب في أي حال من الأحوال إغفال النظر في العلاقات الممكنة بين الظاهراتية والتأويل.

المصادر

أبو زيد، نصر حامد (2000)، الخطاب و التأويل، ط1،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
أبو زيد، نصر حامد (1981)، الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص، مجلة فصول، المجلد الأول، ع3.
ايجلتون، تيري(1995)، الظاهراتية و الهرمنيوطيقا ونظرية التلقي، ترجمة محمد خطابي، مجلة علامات، ع3.
بوشعير، عبد العزيز (2011)، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف.
بونفقة، نادية (2005)، فلسفة ادموند هسرل- نظرية الرد الفينومينولوجي، (د ط)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
تاج الدين، مصطفى(1998)، النص القرآني و مشكل التأويل، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، ع 14.
براون وَ يول (1997)، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطي ومنير التريكي، الرياض، (د ط)، جامعة الملك سعود.
حساني، أحمد (2004)، السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 395.
روزنتال، ويودين (1981)، الموسوعة الفلسفية، ، ترجمة سمير كرم، ط4، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
ريكور، بول (2001)، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقية، (د ط)، مصر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
الزين، محمد شوقي (2002)، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، ط1، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي.
الزين، محمد شوقي (1999)، الفينومينولوجيا وفن التأويل، فكر و نقد، المغرب، ع 16.
سلدن، رامان (2006)، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، مراجعة وإشراف ماري تريز عبد المسيح، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، العدد 1045، المجلد 8.
عبد المطلب، فؤاد (2007)، التأويل في الغرب- النشأة والمفهوم، مجلة الموقف الأدبي، العدد 440.
عزام، محمد (2001)، النص الغائب، تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

العيد، معروفي (2014)، الهرمينوطيقا، جدلية الأصل والانزياح، مقاربة معرفية ومنهجية بين تأويلية هانس جورج غادامير ونصر حامد أبو زيد، ط1، العراق، دار نيبور.
غادامير، هانز جورج (1999)، مدخل إلى أسس فن التأويل- التفكيك وفن التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، فكر ونقد، المغرب، ع 16.
الغذامي، محمد (1998)، الخطيئة و التكفير، من البنيوية إلى التشريحية، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
غيوة، فريدة (1999)، أسس المنهج الظواهري عند أدموند هوسرل، مجلة التواصل، جامعة عنابة، العدد4.
لطفي عبد البديع (1997)، التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، ط1، لونجمان، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية.
هايدغر، مارتن (2015)، الانطولوجيا، هرمينوطيقا الواقعانية، ترجمة عمارة الناصر، ط1، بيروت، منشورات دار الجمل.
المتقن، محمد (2004)، في مفهومي القراءة و التاويل، عالم الفكر، ع2، م33، الكويت (أكتوبر- ديسمبر).
نصر، عاطف جودة (1996)، النص الشعري و مشكلات التفسير، ط1، القاهرة، دار نوبار للطباعة.

Bouveresse, Jacques (1991), Herméneutique et Linguistique, Editions de l'éclat, France.
Peirce; Charles Sanders (1978) ; écrits sur le signe, Seuil, T ; G. Deledalle .